الفصل السابع

ضرورة الإخلاص لحملة الدعوة

● **لماذا كان الإخلاص ضرورة :**

إن العمل لسيادة الإسلام وعودته لقيادة الحياة بعقيدته وشريعته وأخلاقه وحضارته ، إنما هو عبادة وقُرْبة إلى الله عَزَّ وجَلَّ من ناحية ، وجهاد فى سبيل الله من ناحية أخرى . وتجريد النية لله فى هذه العبادة وذلك الجهاد : أمر أساسى لقبول العمل ولنجاحه معاً ، فالنية المدخولة تُفسد العمل ، وتلوث النفس ، وتضعف الصف ، وتحبط الأجر . والنية الصالحة ، تصلح العمل ، وتقوى العزم ، وتفسح الطريق ، وتعين على إزالة العقبات ، قال تعالى : ﴿ إن يُرِيدَا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (١) فدلَّ على أهمية الإرادة والنية فى إنجاز المهمة المنشودة ، فهى سبب توفيق الله تعالى وتأييده .

وقد كتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز ناصحاً له ، فقال : اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية ، فمَن تمت نيته تم عون الله له ، ومَن نقصت نيته نقص قدره .

ولهذا السر بدأ الإمام البخارى كتابه « الجامع الصحيح » بهذا الحديث الذى عدَّه بعض العلماء ربع الإسلام أو ثلثه : « إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى . . فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومَن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٢) .

وقد روى أن رجلاً هاجر إلى المدينة من أجل امرأة يحبها ويريد أن يتزوجها تسمى أم قيس فنسب إليها وقيل له « مهاجر أم قيس » (٣) .

---

(١) النساء : ٣٥ (٢) سبق تخريجه .

(٣) قال ابن مسعود : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن =

إن على المسلم العامل للإسلام أن يفتش فى زوايا قلبه عن حقيقة نواياه وبواعثه ، فإن كان فيها حظ للدنيا أو للشيطان ، جاهد أن ينقى قلبه من دخله ، وأن يجرد نيته لله ، وأن ينذر نفسه محرراً لربه ، كما قالت امرأة عمران : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي ، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) . وهذه الكلمة من أم مريم : ﴿ مُحَرَّراً ﴾ توحى بأن سُنَّة الله ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً من كل شركة ، محرراً من كل عبودية لغيره .

إن الحياة لا يسود فيها الحق ، ويُنشر الخير ، وتعلو كلمة الإيمان ، وتخفق أعلام الفضيلة : بتجار المبادئ ، الذين لا يعملون إلا ليغنموا ويستفيدوا فى الدُّنيا ، ولا بالمرائين الذين لا يعملون إلا ليراهم الناس ، ويسمعوا بهم ، ويتحدثوا عنهم ، ويشيروا إليهم بالبنان ، بل ينتصر الحق والخير والإيمان والفضيلة : بالمخلصين الذين يعتنقون المبادئ مؤْثرين مستأثرين مضحِّين لا مستفيدين ، معطين لا آخذين .

* *

● المخلصون هم جند الدعوات :

إن المخلصين الذين يبتغون بعملهم وجه الله ، يَسْمُون فوق المنافع الذاتية والمصالح الشخصية ، هم وحدهم جند الدعوات ، وحملة الرسالات ، وورثة النبوات ، وهم الذين ينتصرون بالدعوة ، وتنتصر بهم ، ولو كانوا فقراء المال ، ضعفاء الجاه ، مغمورين فى الناس ، وهم الذين جاء فيهم الحديث الشريف : « رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه » (رواه مسلم) .

= تَزَوَّجه حتى يهاجر ، فهاجر ، فتزوجها ، فكنا نسميه مهاجر أم قيس . . قال ابن مسعود : مَن هاجر لشيء فهو له ، قال فى « طرح التثريب » : رجاله ثقات (٢/٢٥) ، ولكنه لم يثبت أن ذلك سبب ورود حديث : « إنما الأعمال . . . . » كما قال ابن رجب وابن حجر .

(١) آل عمران : ٣٥

وقد روى النسائى وغيره عن سعد بن أبى وقاص - هو مَن هو سبقاً فى الإسلام وقرابة من رسول الله - أنه ظن فى نفسه يوماً أن له فضلاً على مَن دونه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال النبى ﷺ : « إنما ينصرِ الله هذه الأُمة بضعيفها : بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم » (١) .

وهؤلاء الضعفاء المغمورون المخلصون ، هم الذين أمر الله رسوله أن يصبر نفسه معهم ، ولا يفرط فى واحد منهم ، ولا تعدو عيناه عنهم ، إلى الشخصيات المرموقة فى المجتمع ، من ذوى المكانة والثراء والجاه ، ممن يظن أنهم ينصرون دعوته بجاههم ومنزلتهم فى الناس ، يقول سبحانه : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (٢) .

إن جندى العقيدة لا يجرى وراء المطامع ، ولا يخطف بصره بريق الشهرة ، ولا يجذب قلبه سطوة الجاه والنفوذ . . إن الدنيا ليست أكبر همه ولا مبلغ علمه ، إنه ينزلها منزلتها ، فلا تزن عنده جناح بعوضة عند الله تعالى ، إن أكبر همه أن يتقبله الله فى عباده الصالحين ، وجنده الصادقين ، وحزبه المفلحين . .

إن وضوح هذا الهدف أمر ضرورى للعاملين لنُصرة الإسلام ، فقد يكون هدفهم إقامة دولة إسلامية ، أو حضارة إسلامية ، أو مجتمع إسلامى ، أو نحو ذلك من الأهداف التى يسعون إليها ، ويحرصون على تحقيقها ، ولكن هدف الأهداف ، وغاية الغايات من وراء ذلك كله ، هو : رضوان الله عَزَّ وجَلَّ

---

(١) رواه النسائى عن سعد ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٢٣٨٨) .

(٢) الكهف : ٢٨

وابتغاء ما عنده ، ومن أجل ذلك يستمرئون المر ، ويسترخصون كل تضحية ما دامت فى سبيل الله .

* *

● خطر الطفيليين :

وعلى رجال الدعوات أن يحذروا على صفوفهم من الطفيليين الطامحين الطامعين ، الذين يتسللون إلى الجماعات المؤمنة تسلل الميكروبات إلى الجسم السليم ، ويتسلقون على أكتاف الآخرين ، كلامهم كثير ، وعملهم قليل ، يقلون عند الفزع ، ويكثرون عند الطمع ، حتى تكشفهم المحن ، ويميز الله الخبيث من الطيب .

أجل . . إن شر ما تصاب به الدعوات الربانية ، هم أولئك المحتالون ، الذين يتخذونها قنطرة إلى مآربهم ، وسلماً إلى مطامعهم ، متظاهرين بالتقوى ، متوسلين بالقول المعسول ، والحماس المفتعل ، والملمس الناعم ، وباطنهم خراب ، وقلوبهم هواء ! هؤلاء هم الذين حذَّر منهم رسول الله ﷺ حين قال : « يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكّر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله عَزَّ وجَلَّ : أبى يغترون أم علىَّ يجترئون ؟ . . فبى حلفت : لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيراناً » (١) .

* *

● صنفان متمايزان :

ولقد قسم النبى ﷺ الناس إلى صنفين متمايزين متباينين : صنف يعيش لنفسه وشهواته ، عبداً للمال والزينة والأبهة ، يسير وراء مصلحته وشهوته أنَّى سارت ، فإن تحققت رضى وأثنى ، وإلا ذَمَّ وسخط .

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة فى أبواب الزهد (٢٤٠٦) وفى سنده يحيى بن عبد الله ابن موهب تكلم فيه شعبة ، وذكر الترمذى فى الباب شاهداً له من حديث ابن عمر (٢٤٠٧) وقال : حسن صحيح غريب .

وصنف يعيش للحق وحده ، مستعداً للجهاد والبذل ، غير منتظر منفعة ولا شهرة ، حيث وُضِع ، عمل وأنتج ، دون ضجيج ولا مباهاة .

فى هذين الصنفين جاء الحديث الصحيح : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أُعْطِىَ رضى ، وإن لم يُعَط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ! طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرّة قدماه ، إن كان فى الحراسةً كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة . . إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشَفَّع » (١) .

* * *

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة .

obeikandl.com